الجامعة الإسلامية . غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم الحديث الشريف وعلومه

الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام
دراسة موضوعية في السنة النبوية

إعداد الطالب :

بسام بن خليل الصفدي

إشراف الأستاذ الدكتور:

إسماعيل بن سعيد رضوان

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الحديث الشريف وعلومه من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

1429هـ - 2008م

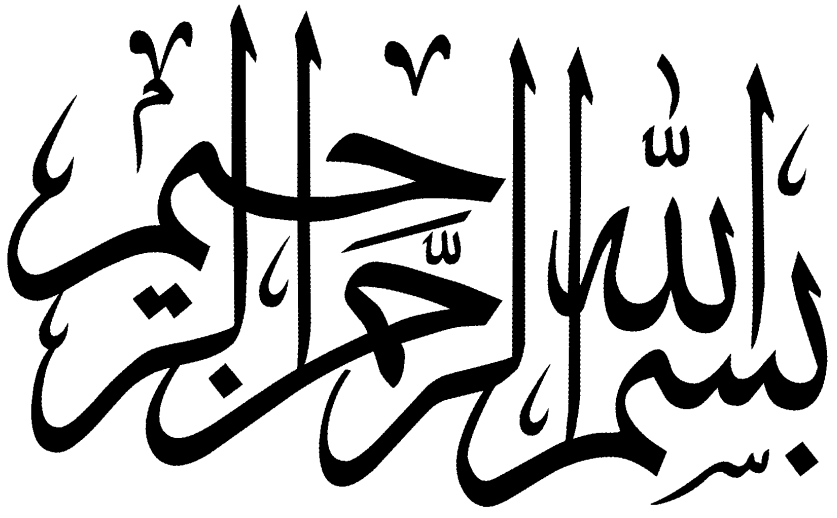
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أمتي الغالية ... التي ينبض قلبي بحبها ، ويحترق شوقاً إلى عزها ومجدها .

إلى طلبة العلم ، وحماة الملَّة ... الذين ينفون عن دين الله تأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، وتحريف الغالين .

إلى الأسود الأبطال ... النافرين في سبيل الله ، المجاهدين بأموالهم وأنفسهم ، الذابِّين عن حياض دينهم ، وعِرض أُمَّتهم .

إلى أسرى المسلمين ... المستضعفين في سجون الظالمين ، الذين ما حنوا هاماتهم إلا لرب العالمين.

إلى الغرباء ... القابضين على الجمر في زمن الغربة .

إلى أخي الحبيب أبي أنس مصباح عودة ... صاحب الأيادي البيضاء ، الذي فجعت بموته وأنا أكتب هذا البحث ، أسأل الله –تبارك وتعالى– أن يرفع درجته في المهديين ، ويخلفه في عقبه في الغابرين ، وأن يفسح له في قبره ، وينور له فيه .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث .

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، أحمده تبارك وتعالى على عظيم فضله وإحسانه ، وجليل منته وإنعامه ، فله الحمد أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، فلولا توفيقه وامتنانه ما رحت ولا جئت ، ولا كتبت سواداً في بياض .

فله المحامد والمدائح كلها بخواطري وجوارحي ولساني .

ثم إنني أتوجه بالشكر إلى الجامعة الإسلامية ، التي أسأل الله تبارك وتعالى أن يقيمها صرح علمٍ وهداية ، وتوجيهٍ وبناء .

كما وأشكر فضيلة الأستاذ الدكتور : **إسماعيل بن سعيد رضوان** ، الذي حباني بكرمه ، وأفادني بعلمه ، وسدَّدني بتوجيهه ، ولم يبخل عليَّ بوقته ونصحه ، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظه بحفظه ، ويبارك له في علمه ، ويجزيه عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر إلى أستاذيَّ الكريمين الفاضلين ، اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وتسديدها ، وتقويمها ، وإثرائها بالملاحظات والتوجيهات .

فضيلة الأستاذ الدكتور : أحمد بن يوسف أبو حلبية .

فضيلة الأستاذ الدكتور : نافذ بن حسين حماد .

وشكر الله لوالديَّ الكريمين العزيزين الغاليين ، اللذين ذلَّلا لي الصعاب ، وهيَّئا لي الأسباب ، واكتنفاني بعطفهما ، وغمراني بحبهما ، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظهما ، ويبارك فيهما ، ويجزيهما عني خير ما جزى والدين عن ولدهما .

كما وأشكر زوجتي الفاضلة ، التي تجشمت معي الصعاب ، وتحمَّلت المشاق ، وواصلت الليل بالنهار ، حتى يسَّر الله إتمام هذه الرسالة ، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك فيها ، ويجزيها خير الجزاء .

وأتقدم بالشكر إلى مشايخي وأساتذتي الكرام ، الذين غرسوا في قلبي حب العلم ، وبذل الغالي والنفيس في طلبه وتحصيله ، وأخص منهم بالذكر : صاحب الفضيلة الشيخ الوالد الدكتور: **أبا عبد الرحمن سلمان بن نصر الداية** ، فله مني جزيل الشكر ، ومن الله عظيم الثواب والأجر ، أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بعلمه ، ويسدد على الحق خطانا وخطاه .

كما وأشكر كل أخٍ أسداني نصحاً ، أو منحني علماً ، أو قدَّم لي عونـــاً ، وأخـــص مـــنهم بالذكر :

الأخ : أحمد بن خليل الصفدي.

الأخ : عماد بن مصباح الداية .

والأخ : حسن بن سليمان حلس .

والأخ : محمد بن عبد الحي كلاب .

وختاماً : أسأل ربي العظيم أن يتسلم هذا العمل مني متقبلاً ، وأن يجعله خالصاً لوجهـــه ، وموجباً للفوز بغفرانه وعفوه ، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إنْ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾. (آل عمران:102).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.(النساء:1).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.(الأحزاب:70-71) .

أما بعد :

فإن الناظر في حال أمتنا اليوم ، يجد أنها تمر بأصعب مراحلها ، وأحلك أيامها ، ولقد تداعت عليها الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ، وأصابها من الذل والهوان ما تنفطر له الأكباد ، وتتقطع له القلوب.

وما كان ذلك إلا لبعد الأمة عن كتاب ربها –جل وعلا– ، وسنة نبيها ﷺ ، وهَجْرِهَا أحكامَ دينها وشريعتها ، فكان لا بد والحالة هذه من الرجوع بصدق وحزم إلى المعين الصافي ، والسلسبيل الشافي ؛ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وإن الذي يتأمل بقلب واعٍ ، وعينٍ فاحصةٍ في هذا الصراع الذي تدور اليوم رَحَاهُ بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، ومعسكر التوحيد ومعسكر الشرك ؛ يجد أن بؤرته ومركزه في بلاد الشام ؛ مصداقاً لما أخبر به النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان في الصحيحين من حديث عمير بن هانئ أنه سمع معاوية ﷺ يقول : سمعت النبي ﷺ يقول: **(لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ).** قَالَ عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ ، قَالَ مُعَاذٌ : وَهُمْ بِالشَّامِ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ : وَهُمْ بِالشَّامِ " [1].

كما دلت النصوص على أن مستقبلَ الإسلام ، وبزوغَ فجره ، وتشييدَ صرحه ، وإعادةَ مجده ، والانطلاقةَ الكبرى لأهل السنة والجماعة ، والقضاءَ على قوى الكفر والإلحاد ، والنفاق والإفسادِ ، كل ذلك إنما يكون في بلاد الشام .

---

(1) سيأتي تخريجه (ص61) .

ولقد حبا الله بلاد الشام بنعم جليلة ، وفضائل غزيرة ، فهي الأرض المباركة الطيبة ، المقدسة الطاهرة ، أرض الصدق والإيمان ، والمحشر والمنشر، ديارُ النبيين ، ومُهَاجَرُ المؤمنين، ومقر دار الإسلام والمسلمين ، بها عمود الإسلام ومستقر الإيمان ، تكفل الله بها ، فاصطفاها من أرضه ، واصطفى لها خيرته من عباده .

فأنعِم بها من بلاد طيبة مباركة ، على ثراها ينزل المسيح عليه السلام ، ويستقر المهدي ﷺ ، ويُقتل الدجال ، ويُقضى على يأجوج ومأجوج ، ويُباد اليهود والروم ، وتقوم الخلافة الراشدة على منهاج النبوة .

من أجل ذلك كله توجهت همتي إلى دراسة ما يتعلق بهذه البلاد المباركة ، وما يقع على ثراها من الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، وإبرازِ مستقبل الإسلام فيها ، وبيانِ واجب المسلمين تُجَاهَهَا ، فكانت هذه الدراسة بعنوان : " الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام دراسة موضوعية في السنة النبوية " .

أولاً : أهمية الموضوع وبواعث اختياره :

1- تعلق الموضوع ببلاد الشام ، ولا يخفى ما لبلاد الشام من أهمية ومكانة.

2- تعلقه بمستقبل الإسلام العظيم الذي يهم كل مسلم ومسلمة.

3- بيان اهتمام السلف بأحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، وحرصهم على نشرها وبيانها وتوضيحها .

ثانياً : أهداف البحث:

1- جمع وبيان الأحاديث المقبولة المتعلقة بالفتن والملاحم وأشراط الساعة الواقعة في بلاد الشام.

2- تنبيه الأمة إلى الأحداث الجسام التي ستشهدها أرض الشام ؛ فتُعِدُّ العُدَّة لذلك وتستعد.

3- زرع الثقة في قلوب أبناء الأمة ، وبيانُ أن المستقبل لهذا الدين ولهذه الأمة .

4- بيان منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

ثالثاً : منهج البحث:

سيتبع الباحث المنهج الاستقرائي في جمع واستقراء نصوص السنة ، ويستعين بالمنهج الاستنباطي ، ويتمثل عمل الباحث في النقاط التالية :

1- الاقتصار على الأحاديث المقبولة ، التي تدور بين الصحة والحسن ، واستبعادُ ما لم يصح وما لم يثبت.

2- الاكتفاء بإيراد الأحاديث المتعلقة ببلاد الشام دون غيرها ، إلا ما كان له وجه ارتباط بالشام ؛ فيُورَدُ للحاجة إليه.

3- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما ، يكتفي الباحث بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، سوى ما كان فيه علة من تدليس ، أو اختلاط ، أو نحو ذلك ، فإن الباحث يبينها ، ويزيل الإشكال الحاصل بسببها ، وإن كان في غير الصحيحين من كتب السنة ، يتوسع الباحث في تخريجه بما يفي بالمقصود .

4- إذا كان الحديث في الصحيحين ، فإن الباحث يذكر سند الحديث في سياق التخريج من أول موضع الاتفاق في السند ، وإذا خَرَّجَ الباحث الحديث من كتاب واحد من كتب السنة، فإنه يذكر إسناده كاملاً في سياق تخريجه ، وإذا روى الحديثَ غيرُ واحدٍ من الأئمة ، فإن الباحث يذكر السند من موضع اتفاقهم في سياق التخريج ، ويُصدِّر تخريج الحديث بذكر الإسناد الذي يقوم بدراسته ، ويسوقه إلى أول موضع الاتفاق .

5- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما ، فالعزو إليهما أو إلى أحدهما كفيل بصحة الحديث ، وإن كان الحديث في غير الصحيحين من كتب السنة ، حكم عليه الباحث بما يناسب حاله وفق القواعد الحديثية ، مستأنساً -عند الحاجة- بأحكام أهل العلم إن وجدت، وأما آثار الصحابة ، فلقد حاول الباحث جاهداً دراسة أسانيدها والحكم عليها ، إلا أن بعضها -وهو قليل- ورد على سبيل الاستئناس ، فلم يلتزم الباحث دراسته .

6- إذا كان الراوي ثقة ، أو متفقاً على توثيقه ، فإن الباحث يشير إلى ذلك ، ولا يترجم له إلا إذا دعت الحاجة إليه ، وكذلك إذا كان الراوي ضعيفاً ، أما إذا كان الراوي مختلفاً فيه ، فإن الباحث يذكر أقوال المُعدِّلين والمجرِّحين ، ويتوسع في ذلك حسب حال الراوي ، ثم ينتهي إلى الترجيح وفق القواعد المقررة عند أهل العلم .

7- بيان غريب الحديث ، والبلدان ، والرجوع في ذلك إلى المصادر الأصيلة ما أمكن.

8- يحرص الباحث على الرجوع إلى كتب شروح الحديث ، وبيان معانيها ، ويستعين في ذلك بالدراسات المعاصرة .

9- الترجمة للأعلام غير المشهورين ، واستبعاد من اشتهر منهم .

10- عمل فهارس تخدم الدراسة ، وتسهل الاستفادة منها .

رابعاً : الدراسات السابقة :

1- وقف الباحث على كثيرٍ من الكتب التي تحدثت عن بلاد الشام ، وفضائلها، والفتن التي تقع فيها. ومن أهم هذه الكتب : فضائل الشام ودمشق للرَّبْعِي ، وفضائل الشام للسمعاني، ولابن عبد الهادي ، ولابن رجب الحنبلي ، ولشمس الدين الأسيوطي ،

وترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام للعز بن عبد السلام ، وغيرها مما هو مذكور في ثنايا هذه الرسالة .

2- أما بالنسبة لكتب الفتن والملاحم وأشراط الساعة ؛ فإن عشرات الكتب أُلِّفت في هذا الباب ، ومن أهم ما وقف عليه الباحث من تلك الكتب : السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها لأبي عمرو الداني ، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبد الله القرطبي ، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ، والإشاعة لأشراط الساعة للبَرزَنجِي ، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لحمود التويجري ، وغيرها مما هو مذكور في ثنايا هذه الرسالة .

3- وقف الباحث على رسالة علمية للأخ : عماد الدين البراوي في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية ، وعنوان رسالته : " الملاحم وأشراط الساعة المتعلقة بالشام بين اليهودية والإسلام " .

ولقد قام الباحث فيها بجهد مشكور ، والرسالة كما هو واضح من عنوانها تناولها الباحث من ناحية عقدية ، وتعرض فيها للفرق بين اليهودية والإسلام في النظر إلى الفتن ، والملاحم ، وأشراط الساعة المتعلقة بالشام .

أما رسالتنا هذه فهي تتناول الموضوع من جانب حديثي ، يتم فيه جمع النصوص واستقراءُها ، والنظر في أسانيدها ، ولا نتعرض فيها لما يتعلق باليهود ومعتقداتهم في ذلك .

وقسم الأخ رسالته إلى ثلاثة فصول : الأول منها في مكانة الشام وارتباطها في الملاحم وأشراط الساعة ، والثاني في الملاحم التي تشهدها الشام، والثالث في أشراط الساعة التي تشهدها الشام ، والمنهج الذي سلكه في ترتيب الفتن والملاحم والأشراط ليس واضحاً ولا منسجماً مع النصوص النبوية؛ نظراً لطبيعة رسالته ، بخلاف ما يقوم به الباحث في هذه الرسالة حيث تم ترتيب الفتن والملاحم والأشراط على النحو الذي جاء في النصوص النبوية.

وأغفل الباحث ذكر جملة من الأحاديث المتعلقة بالملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام ، كما وأنه أغفل ذكر بعض الملاحم والأشراط التي تشهدها هذه البلاد .

4- وقف الباحث على كتاب بعنوان : " بلاد الشام أرض رباط وجهاد وحسم إلى يوم القيامة " دراسة حديثية تاريخية في رصد الأحداث كما أنبأنا عنها النبي ﷺ ، وكما أشار إلـــى بعضها القرآن الكريم إلى أن تقوم الساعة . لمحمد بن سعيد البارودي .

وهي دراسة قيمة ، إلا أنه فات المؤلف الكثير من الأحاديث ، إضافة إلى أن جزءاً من الأحاديث التي أوردها بحاجة إلى تحرير في دراسة أسانيدها والحكم عليها .

خامساً: خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة .

- **أما المقدمة فضمنتها ما يلي :**

1- أهمية الموضوع ، وبواعث اختياره.

2- أهداف البحث.

3- منهج الباحث ، وطبيعة عمله في البحث.

4- الدراسات السابقة.

5- خطة البحث.

- **أما التمهيد فضمته ما يلي :**

أولاً: معنى الشام ، وتسميته ، وأصل اشتقاقه ، وحدُّه .

ثانياً: فضائله ، وحرص الصحابة والتابعين عليه.

ثالثاً: تعريف الفتن لغة واصطلاحاً.

رابعاً: تعريف الملاحم لغة واصطلاحاً.

خامساً: تعريف أشراط الساعة لغة واصطلاحاً.

- **أما الفصول فهي على النحو التالي:**

الفصل الأول : الفتن في بلاد الشام ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : كثرة الفتن ، واشتدادها في آخر الزمان.

المبحث الثاني : اختصاص الشام بالإيمان عند وقوع الفتن.

المبحث الثالث : الوصية بسكنى الشام ، والهجرة إليها ، لاسيما عند وقوع الفتن.

المبحث الرابع : أهل الشام ميزان لصلاح الأمة وفسادها عند وقوع الفتن .

الفصل الثاني : الملاحم في بلاد الشام ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أرض الشام مركز الصراع بين الحق والباطل ، وهي عقر دار المؤمنين.

المبحث الثاني : اختصاص الشام بالطائفة المنصورة المقاتلة .

المبحث الثالث : قتال اليهود في بلاد الشام .

المبحث الرابع : ظهور المهدي وخوضه الملاحم مع الروم في بلاد الشام .

الفصل الثالث :أشراط الساعة الصغرى الواقعة في بلاد الشام،وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : فتح بيت المقدس .

المبحث الثاني : طاعون عِمواس .

المبحث الثالث : التضييق على أهل بيت المقدس .

المبحث الرابع : الحصار الاقتصادي على بلاد الشام .

المبحث الخامس : نزول الخلافة في بلاد الشام .

المبحث السادس : اجتماع أهل الإيمان في آخر الزمان بالشام .

الفصل الرابع :أشراط الساعة الكبرى الواقعة في بلاد الشام،وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : خروج الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وقتله إياه في بلاد الشام .

المبحث الثاني : خروج يأجوج ومأجوج ، وهلاكهم في بلاد الشام .

المبحث الثالث : هبوب ريح من الشام تقبض أرواح المؤمنين قبل قيام الساعة .

المبحث الرابع : حشر الناس إلى بلاد الشام .

سادساً : الخاتمة :

وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث .

سابعاً : الفهارس :

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام والرواة .
- فهرس الأماكن والبلدان .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

التمهيد

أولاً : مَعْنَى الشَّامِ , وَتَسْمِيَتُه , وَأَصْلُ اشْتِقَاقِهِ , وَحَدُّهُ .

ثانياً : فضَائِلُهُ وَحِرْصُ الصَّحَابةِ والتَّابِعِينَ عَلَيْهِ .

ثَالِثَاً : تَعرِيفُ الفِتَنِ لُغَةً وَاصْطِلَاْحَاً .

رَابِعَاً : تَعْرِيْفُ المَلَاْحِمِ لُغَةً وَاصْطِلَاْحَاً .

خَامِسَاً : تَعْرِيْفُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاْحَاً .

أولاً : معنى الشام , وتسميته , وأصل اشتقاقه , وحده

الشام لغة :

الشين والهمزة والميم ؛ أصل يدل على الجانب اليسار . من ذلك المشأمة , وهي خـــلاف الميمنة [1] .

والشُّؤم : خلاف اليُمن , وقد شأم فلانٌ على قومه يشأمهم فهو شائم إذا جر عليهم الشُّؤم , وقد شُئم عليهم فهو مشئوم إذا صار شُؤماً عليهم [2] .

ويقال : تشاءم الرجل إذا أخذ نحو شماله , وأشأم وشاءم إذا أتى الشام , وتشأَّم إذا انتـــسب إليها [3] .

ويقال لليد الشِّمَال : الشؤمى تأنيث الأشأم [4] ، واليد الشُّؤمي : ضد اليمنى [5].

والشَّأْمُ : بلاد تذكر وتؤنث .

قال ابن بَرِّي [6] :

" شاهد التأنيث قول جَوَّاس بن القَعْطَل [7] :

جِئْتُم من البلدِ البعيدِ نياطُه [8] والشَّأْمُ تُنْكَرُ كَهْلُهَا وَفَتَاهَا

وشاهد التذكير قول الآخر [9] :

---

(1) ابن فارس , مقاييس اللغة (ص 546) .

(2) ابن منظور , لسان العرب (7/5) , وانظر : الطاهر الزاوي , مختار القاموس (ص 320) .

(3) لسان العرب (7/5) , وانظر : ابن عساكر , تاريخ دمشق (9/1) ؛ ابن الأثير , النهاية في غريب الحديث والأثر (ص463) ؛ مختار القاموس (ص320) ؛ إبراهيم أنيس , المعجم الوسيط (ص469) .

(4) لسان العرب (7/5).

(5) المرجع السابق (8/5) ، وانظر : مختار القاموس (ص320) .

(6) هو : عبد الله بن برّي بن عبد الجبار بن برّي المقدسي ثم المصري , أبو عبد الله النحوي الشافعي , ولد سنة 499هـــ , شاع ذكره وانتشر ولم يكن بمصر مثله , كان قيّماً بالنحو واللغة والشواهد , وصنف : اللباب في الرد على ابن الخشاب ، وغلط الضعفاء من الفقهاء ، وغيرها . مات سنة 582هـــ .

انظر : ابن خلكان , وفيات الأعيان (108/3) ؛ الذهبي , سير أعلام النبلاء (136/21) ؛ السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (34/2) ؛ الزركلي , الأعلام (73/4).

(7) هو : جواس بن ثابت بن سويد بن الحارث بن حصن الكلبي , شاعر إسلامي ، اشتُهِر أبوه بالقعطل ، عاش في زمن بني أمية ، وتوفي نحو سنة 70هـ . انظر: تاريخ دمشق (327/11) ، وذكر ابن عساكر أن اسمه : " جوّاس بن بياض بن ثابت ... " ولعل الصواب ما أثبتناه ؛ الأعلام (143/2) .

(8) المراد بذلك البعد , ونياط المفازة : بعد طريقها ، كأنها نيطت وعلقت بمفازة أخرى لا تكاد تنقطع .انظر : لسان العرب (743/8).

(9) المراد به : أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم ، البغدادي , المعروف بثَعلَب , أبو =

يقولون إنَّ الشَّأمَ يَقْتُلُ أهْلَهُ فمن ليَ إنْ لم آتِهِ بِخُلُودِ [1] " .

والشَّأْمُ جاءت عند العرب بفتح الهمزة وسكونها ؛ مثل نَهْر ونَهَر لغتان [2] .

" وقد جاء الشآم لغةً في الشأْم ؛ قال المجنون [3] :

وخُبِّرتُ ليلى بالشآم مريضة فأقبلت من مصر إليها أعودها " [4] .

وفي الشأْم لغة رابعة ، وهي الشام من غير همز [5] .

فتحصل من مجموع الكلام أن الشام فيها أربع لغات : الشأَم , الشأْم , الشآم , الشام [6] .

التَّسْمية وأصل الاشتقاق :

قال أبو بكر ابن الأنباري [7] : " في اشتقاقه (أي الشام) وجهان : يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشؤمى وهي اليسرى ، ويجوز أن يكون فُعلى من الشُّؤم [8] .

أما التسمية ، فسميت الشام لأنها عن مشأمة القبلة [9] .

وقيل : الشام جمع شامة ، وسميت بذلك لكثرة قراها ، وتداني بعضها من بعض فشُبِّهت بالشامات [10] .

= العباس , الإمام العلامة المحدث , ولد سنة 200هـ ، وله : المصون في النحو , والقراءات , ومعاني القران , وغيرها. مات سنة 291هـ . انظر : وفيات الأعيان (102/1) ؛ سير أعلام النبلاء (5/14) ؛ بغية الوعاة (397/1) ؛ الأعلام (267/1) .

(1) لسان العرب (8/5) .

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان (303/3) .

(3) هو : قيس بن الملوح بن مزاحم العامري ، شاعر غزل ، من المتيمين ، من أهل نجد . لم يكن مجنوناً ، وإنما لقب بذلك لهُيَامِهِ في حب ليلى بنت سعد . توفي سنة 68هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (25/4) ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات (208/3) ؛ الأعلام (208/5) .

(4) لسان العرب (8/5) .

(5) انظر : أبو عبيد البكري الأندلسي ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (373/3) ؛ محمد بن عبد المنعم الحِمْيَري ، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص335) ؛ معجم البلدان (353/3) .

(6) انظر : محمد كرد علي ، خطط الشام (7/1) .

(7) هو : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين ، أبو بكر ابن الأنباري ، الإمام النحوي اللغوي ، ولد سنة 271هـ ، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب ، وأكثرهم حفظاً ، وله : غريب الحديث ، والأضداد ، وغيرها . توفي سنة 328هـ . انظر : وفيات الأعيان (341/4) ؛ سير أعلام النبلاء (274/15) ؛ بغية الوعاة (214/1) ؛ الأعلام (334/6) .

(8) انظر : تاريخ دمشق (9/1) ؛ معجم البلدان (354/3) .

(9) لسان العرب (8/5) ؛ وانظر : مقاييس اللغة (ص546).

(10) معجم البلدان (354/3) ونسبه إلى جماعة من أهل اللغة , وانظر : الروض المعطار (ص335) =

وقيل : سميت بذلك لأن قوماً من بني كنعان بن حام خرجوا عند التفريق [1] ؛ فتشاءموا إليها ، أي : أخذوا ذات الشمال ؛ فسميت الشام بذلك [2] .

وقيل : سميت الشام بسام بن نوح ﷺ ، وذلك أنه أول من نزلها فجُعلت السين شيناً لتغير اللفظ العجمي [3] .

وذُكرت أسبابٌ غير هذه الأسباب في تسمية الشام ، أعرضنا عنها خشية الإطالة [4] .

وهذه الأقوال كلها حسنة سوى القول الأخير منها لعدم ثبوته ، وانتفاء صحته . ولا يمنع أن يجتمع أكثر من سبب في التسمية ، والله تعالى أعلم .

حدُّ الشَّامِ :

قال ياقوت الحموي [5] في بيان حدود الشام : " وأما حدها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية ، وأما عرضها فمن جَبَلَي طَيِّئ [6] من نحو القبلة إلى بحر الروم [7] وما بشأمة ذلك من البلاد " [8] .

= والشامات : قرية من قرى سيرجان من كرمان على ستة فراسخ (والفرسخ : ثلاثة أميال) . انظر : معجم البلدان (353/3) . والشامات تقع اليوم في إيران .

(1) المراد بالتفريق هنا : تفرق الناس حين كانوا ببابل , ولهذا التفرق أسباب ؛ انظرها في تاريخ دمشق (9/1)؛ الروض المعطار (ص335) .

(2) معجم البلدان (354/3) ؛ وانظر : تاريخ دمشق (9/1) .

(3) ذكره ياقوت في معجم البلدان (354/3) ، ونسبه إلى بعض أهل الأثر , وأورده ابن عساكر في التاريخ (10/1) , ونسبه إلى ابن المقفع , وأنكر جماعة من أهل العلم أن يكون سام نزل الشام ، وهو الصحيح . انظر : تاريخ دمشق (10/1) ؛ معجم ما استعجم (373/3).

(4) يُنظر للاستزادة : تاريخ دمشق (7/1-110) ؛ ومعجم البلدان (354/3) ، وغيرها من الكتب المشار إليها آنفاً .

(5) هو : ياقوت بن عبد الله الرومي ، مولى عسكر الحموي , شهاب الدين , أبو عبد الله , الأديب السفار النحوي الأخباري المؤرخ , ولد سنة 574هـ , من أئمة الجغرافيين , وله : معجم البلدان , ومعجم الأدباء , وغيرها . توفي سنة 626هـ . انظر : وفيات الأعيان (27/6) ؛ سير أعلام النبلاء (312/22) ؛ الأعلام (131/8) .

(6) جبلا طيئ : هما : أجأ ، وسلمى ؛ يقعان في منطقة حائل في الجزيرة العربية ، وبينهما مسيرة ليلتين ، وطيئ : قبيلة عربية قحطانية منازلها في الجبلين . انظر : معجم البلدان (119/1) ؛ شوقي أبو خليل ، أطلس الحديث النبوي (ص248) .

(7) وهو البحر المتوسط , وفي كتب التاريخ والبلدان غالباً ما يسمونه بحر الروم , ومن أسمائه : بحر الملح, والبحر المالح , وبحر الشام . انظر : محمد كرد علي ، خطط الشام (9/1) .

(8) معجم البلدان (354/3) .

وقال ابن شداد [1] : " ذكر أصحاب الاعتناء بتحديد المسالك والممالك أن حده الجنوبي العريش من جهة مصر ، وحده الشمالي بلاد الروم ، وحده الشرقي البادية من أيلة [2] إلى الفرات ، وحده الغربي بحر الروم " [3] .

وقال أبو إسحاق الاصطخري [4] : " وأما الشام فإن غربيَّها بحر الروم ، وشرقيَّها البادية من أَيْلَة إلى الفرات إلى حد الروم ، وشماليَّها بلاد الروم ، وجنوبيَّها حد مصر وتيه بني إسرائيل ، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح ، ومما يلي الروم الثغور [5] " [6] .

وقال زكريا القزويني [7] في بيان حد الشام : " هي من الفرات إلى العريش طولاً ، ومن جبل طيِّء إلى بحر الروم عرضاً " [8] .

وقال شمس الدين الأسيوطي [9] : " وأما حدودها ؛ فإن حدها من الغرب البحر المالح، وعلى ساحله عدة مدائن ، ومن الجنوب رمل مصر والعريش ، ثم تيه بني إسرائيل ،

---

(1) هو : محمد بن علي بن إبراهيم ، أبو عبد الله ، عز الدين بن شداد الأنصاري الحلبي ، ولد بحلب سنة 613هـ ، ورحل إلى حرَّان ومصر ، وكان معظماً عند الأمراء محبوباً لديهم ، واستوطن مصر بعد استيلاء التتار على حلب ، وله : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة . وتوفي في القاهرة سنة 684هـ . انظر : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب (388/5) ؛ الأعلام (283/6) .

(2) مدينة على شاطئ البحر مما يلي الشام , وهي آخر الحجاز وأول الشام ، على رأس خليج العقبة ، وسميت بأيلة بنت مدين , وقيل : هي القرية التي كانت حاضرة البحر ، وهي التي تسمى الآن العقبة . انظر : معجم البلدان (347/1) ؛ معجم ما استعجم (217/1) ؛ الروض المعطار في خبر الأقطار (ص70) ؛ أطلس الحديث النبوي (ص57) .

(3) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (4/1) .

(4) هو : إبراهيم بن محمد الفارسي ، أبو إسحاق الاصطخري ، جغرافي ، رحالة ، من أهل اصطخر بإيران ، طاف بلاد العرب ، وبعض بلاد الهند ، وله : صور الأقاليم ، ومسالك الممالك . لم يترجم له في كتب المتقدمين . توفي سنة 436هـ . انظر : الأعلام (61/1) ؛ عمر رضا كحَّالة ، معجم المؤلفين (68/1) .

(5) الثغور من الشام , وهي تشمل عدة مدن منها : ملطية , والحدث ، ومرعش , والهارونية , وأذنة , وطرسوس , وغيرها . وهي قسمان : الثغور الجزرية , والثغور الشامية وكلاهما من الشام . انظر: مسالك الممالك (ص55) .

(6) مسالك الممالك (ص55) .

(7) هو : زكريا بن محمد بن محمود القُزْوِيني ، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري ، مؤرخ ، قاضٍ ، جغرافي، ولد بقزوين سنة 605هـ ، ورحل إلى الشام والعراق ، وولي قضاء واسط ، وله : آثار العباد وأخبار البلاد ، وعجائب المخلوقات ، وخطط مصر . توفي سنة 682هـ . انظر : الأعلام (46/3) .

(8) آثار البلاد وأخبار العباد (ص205) .

(9) هو : محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق , شمس الدين الأسيوطي الشافعي المنهاجي المصري , ولد بأسيوط سنة 813هـ , وجاور بمكة مدة , واستقر في القاهرة , وتوفي سنة 880هـ =

وطور سيناء ، ثم تبوك ، ثم دُومة الجندل [1] ، ومن الشرق بَرِّيَّة السماوة [2] ؛ وهي كبيرة ممتدة إلى العراق ينزلها عرب الشام ، ومن الشمال مما يلي الشرق أيضاً الفرات إلى بلاد الجزيرة " [3] .

ومما يذكر هنا : ما قاله ابن حبان في صحيحه معقباً على حديث الأمر بسكون الشام في آخر الزمان ، حيث قال : " أول الشام بالس [4] ، وآخره عريش مصر " [5] .

وقال الحميري [6] : " وأول طول الشام من مَلَطْيَة [7] إلى رفح " [8] .

ثم إن ابن رجب الحنبلي ذكر في فضائل الشام [9] بعض الأحاديث والآثار في بيان حدود الشام ، ولكنَّ شيئاً منها لم يثبت .

وقال الدكتور شوقي أبو خليل في بيان حدود الشام : " تمتد الشام من جبال طوروس شمالاً ، إلى سيناء جنوباً ، ومن ساحل البحر المتوسط غرباً ، حتى روافد الفرات والصحراء العربية شرقاً " [10] .

= وله : فضائل الشام , إتحاف الأخِصَّا بفضائل المسجد الأقصى . انظر : الأعلام (334/5) .

(1) بلدة تقع بين الحجاز والشام ، على مقربة من تبوك ، وهي حصن منيع ومعقل حصين , بعث رسول الله ﷺ إليها جيشاً ، وأمَّر عليهم عبد الرحمن بن عوف ففتحها , وكان فتحها صلحاً . انظر : معجم ما استعجم (565/1) ؛ الروض المعطار (ص245) .

(2) مفازة بين الكوفة والشام , طويلة قليلة العرض ، سميت بالسماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها ، وقيل غير ذلك . انظر : معجم ما استعجم (754/2) ؛ معجم البلدان (278/3) ؛ الروض المعطار (ص322) .

(3) فضائل الشام (ص309) ، والكتاب ضمن مجموع يضم خمسة كتب في فضائل الشام .

(4) بلدة بالشام ، تقع بين حلب والرَّقَّة ، على شاطئ الفرات الغربي , تحمل منها التجارات التي ترد من الشام ومصر إلى بغداد . انظر : الأعلاق الخطيرة (14/2) ؛ آثار العباد وأخبار البلاد (ص306) ؛ معجم ما استعجم (222/1) ؛ معجم البلدان (390/1) .

(5) ابن حبان , كتاب أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ، باب الحجاز واليمن والشام وفارس وعمَّان , ذكر الأمر بسكون الشام في آخر الزمان إذ هي مركز الأنبياء (295/16) ، رقم (7305) .

(6) هو : محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري ، أبو عبد الله السَّبتي , كان آية في الحفظ , صدوق اللهجة، سليم الصدر ، تام الرجولية , وله : الروض المعطار في خبر الأقطار . انظر : بغية الوعاة (164/1) ؛ مقدمة الروض المعطار بتحقيق الدكتور إحسان عباس .

(7) من ثغور الشام ، بناها أبو جعفر المنصور بعد أن أخربتها الروم , وفتحها حبيب بن مسلمة الفهري عنوة. انظر : آثار العباد وأخبار البلاد (ص564) ؛ معجم ما استعجم (1256/2) ؛ معجم البلدان (223/5) ؛ الروض المعطار (ص545) .

(8) الروض المعطار (ص335) .

(9) (ص209) .

(10) أطلس الحديث النبوي (ص230) .

والأقوال التي تقدم ذكرها متقاربة إلى حد كبير ، إلا أن بعضها فيه إجمال وبعضها فيه تفصيل ، وبينهما شبه اتفاق على حدود الشام الشمالية ، والشرقية ، والغربية ، إلا أن الخلاف وقع في الحدود الجنوبية للشام ؛ فبعضهم جعلها إلى رفح ، وبعضهم جعلها إلى العريش ، وبعضهم إلى سيناء ، والأكثر على أن حدها الجنوبي عريش مصر ، وهو الذي يميل إليه الباحث .

وبلاد الشام بتعبيرنا الحالي تشكل بمجموعها سوريا ، وفلسطين ، والأردن ، ولبنان ، ولم يتم تقسيمها إلى هذه الدول إلا بعد اتفاقية سايكس بيكو [1] .

(1) هي الاتفاقية التي تمت بين فرنسا وبريطانيا ، وفيها تم الاتفاق على تقسيم المنطقة العربية ؛ بحيث تكون العراق لبريطانيا ، وكذلك الأردن ، ومنطقة حيفا ، وما حولها في فلسطين ، وأما سوريا ولبنان فتكونان لفرنسا ، وأما فلسطين فتوضع تحت إشراف دولي ، وتعد هذه الاتفاقية من أخطر المؤامرات التي مرت على العالم العربي ، وسميت بذلك نسبة لاسمي الوزيرين : وزير الخارجية البريطاني "سايكس" ، ووزير الخارجية الفرنسي "بيكو" . انظر : طارق سويدان ، فلسطين التاريخ المصور(ص222) .

ثانياً : فضَائِلُهُ وَحِرْصُ الصَّحَابةِ والتَّابِعِينَ عَلَيْهِ

بلاد الشام بلاد مباركة ، عظيمة الشأن ، رفيعة القدر ، حباها الله بنعم جليلة ، وفضائل غزيرة ، وما أجمل ما قاله المقدسي [1] في مفتتح حديثه عن إقليم الشام : " إقليم الشام جليل الشأن ، ديار النبيين ، ومركز الصالحين ، ومطلب الفضلاء ، به القبلة الأولى ، والثغور الجليلة ، والجبال الشريفة ، ومهاجَر إبراهيم .. مع مشاهد لا تحصى ، وفضائل لا تخفى ، وفواكه ورخا ، وآخرة ودنيا ، به يرق القلب وتنبسط الأعضاء للعبادة .. " [2] .

وثبت للشام في الوحيين من الفضائل ما يشرح الصدور ، ويبهج النفوس ، أبدأها بما ذكر الله في كتابه على وجه السرعة والاختصار .

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : **﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾** [3].

قال ابن جرير الطبري : " هي أرض الشام ، وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام " [4] .

وأكثر المفسرين على أن الأرض المشار إليها في الآية هي بلاد الشام [5] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " معلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطاً إلى أرض الشام من أرض الجزيرة [6] والعراق " [7] .

وسماها الله مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها ، ولأنها معادن الأنبياء [8] .

وهذه البركة ثابتة لبلاد الشام في غير موضع من كتاب الله ، ومنها :

---

(1) هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر البنَّاء ، المقدسي ، المعروف بالبشَّاري ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، رحالة جغرافي ، ولد في القدس سنة 336هـ ، وتعاطى التجارة ، فطاف أكثر بلاد الإسلام ، وامتاز عن غيره من علماء البلدان بكثرة ملاحظاته ، وسعة نظره ، توفي سنة 375هـ ، وقيل : غير ذلك . انظر : الأعلام (312/5) ؛ معجم المؤلفين (52/3) .

(2) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص151) .

(3) سورة الأنبياء , آية (71) .

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (5718/7) .

(5) انظر : القرطبي , الجامع لأحكام القرآن (305/11) ؛ ابن كثير ، تفسير القران العظيم (206/5) .

(6) الجزيرة المعنية : التي تقع بين نهري دجلة والفرات ، وليس المراد : جزيرة العرب . انظر : معجم البلدان (156/2) ؛ أطلس الحديث النبوي (ص121) .

(7) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (506/27) .

(8) الجامع لأحكام القرآن (305/11) ؛ وانظر : ابن رجب ، فضائل الشام (ص209) ، حيث أفرد باباً كاملاً للحديث عن بركة الشام .

– قوله تعالى عن بني إسرائيل : ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** ﴾ [1] .

والأرض التي أورثها الله بني إسرائيل ، وبارك فيها في الآية هي أرض الشام [2] عند جماهير المفسرين ، ونقله ابن جرير [3] وغيره عن الحسن البصري ، وقتادة بن دِعامة السَّدُوسي .

وقال شيخ الإسلام : " معلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها بعد أن أُغرق فرعون في اليم " [4] .

– وقوله تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** ﴾ [5] .

وهذه الأرض المباركة هي أرض الشام ، وهو اختيار ابن جرير [6] ، والقرطبي [7] ، وابن كثير [8] ، وعليه أكثر المفسرين .

قال شيخ الإسلام: " إنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان " [9] .

– وقوله تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ [10] .

والله تبارك وتعالى أعلى شأن هذه البلاد في كتابه ، فهي الأرض المقدسة ، ومبوأ

---

(1) سورة الأعراف ، آية (137) .

(2) مما ينبغي أن ينبه عليه هنا : أن هذه الآية وما شابهها لا تدل مطلقاً على أن اليهود لهم أي حق في هذه الأرض المباركة ، فهذا منافٍ للحقائق الشرعية والتاريخية ، ولا مجال هنا لتفصيل القول في ذلك . انظر: جمال عبد الهادي مسعود ووفاء رفعت جمعة ، ليس لليهود حق في فلسطين ؛ يوسف القرضاوي ، القدس قضية كل مسلم (ص47–82) .

(3) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (3618/5) ؛ الجامع لأحكام القرآن (272/7) ؛ تفسير القرآن العظيم (273/3) .

(4) مجموع الفتاوى (506/27) .

(5) سورة الأنبياء ، آية (81) .

(6) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (5727/7) .

(7) انظر : الجامع لأحكام القرآن (322/11) .

(8) انظر : تفسير القرآن العظيم (208/5) .

(9) مجموع الفتاوى (506/27).

(10) سورة الإسراء ، آية (1) .